بعد أن غادرت سميرة عبد الوهاب

سهيل سامي نادر

الفنانة سميرة عبد الوهاب

أتصفح الآن الموقع الالكتروني الخاص بصالة سميرة عبد الوهاب : اعمالها الفنية ، صالتها " بغداد " ، صورها الفوتغرافية مع نخبة من الفنانين العراقيين الذين أعرفهم ، كتابات النقاد عنها . شعرت بالاستغراب كوني لم أجد كتابة لي . ألم اكتب عنها؟ تذكرت ملاحظات كتبتها ولم أضعها في نظام محدد . لماذا ؟ لا ادري . أتذكر انها انتظرت ان اكتب عنها . كنت أضرب موعدا وأخلف . لعل سلوكي هذا قد آذاها ، وإن هي أغلقت عليه من دون حقد . لا زالت لا تعرف اسبابي الشخصية . (عفوا : هل كانت لك أسباب ؟) لا اعرف مرة اخرى . والحقيقة انني كنت قليل الزيارة لصالتها الا عند افتتاح بعض المعارض المهمة ، وكانت تراني وتطلعني على تجاربها الفنية فأعدها بالكتابة ولا أفي بوعدي . أراها الآن في الصور وينقبض قلبي : صالة بغداد تبخرت في الهواء البغدادي المحترق وسميرة هاجرت الى السويد. إنها حكاية تخصني جدا-تخصني الى حد انني شعرت بالخوف من ان تختفي مع اشياء من طفولتي راحت الان ، مبتعدة ، مودعة ، تتلألأ بوهن . كنت وسميرة عبد الوهاب في صف واحد بمدرسة ابتدائية مختلطة لا نظير لها من حيث الانفتاح والنشاط اللاصفي . بعد نحو أربعين عاما عندما أخبرتها عن معرفتي القديمة بها لم تصدقني حتى وأنا أسرد لها وقائع لا يمكن تكذيبها . أظن انها في ما بعد جاملتني في تصديقها لي حتى شعرت انني ربما كنت كاذبا وملفقا من اجل اهداف غامضة . أفسر اختلاف موقعينا من الماضي أن طفولتي كانت هي الشيء الوحيد الجميل في حياتي ما ابقى الماضي حياً في داخلي ، أما هي فكانت قد أنهت طفولتها مبكرا جدا ، إذ تزوجت وأنجبت وهي شابة صغيرة . كان عليها ان تجمع بين انهماكات البيت والعمل وطموحاته، فعاشت حياتها بعيدا عن طفولتها ، وببساطة ما كان هناك موقع لي في ذاكرتها ، وقبل ذلك في عالمها الجديد الصاخب . على الرغم من ذلك فقد راحت في ما بعد تستمتع بقصصي وتضحك منها حتى تطفر الدموع من عينيها . على نحو ما هي الآن متيقنة بوجود شبح في ماضيها سرق منديلها منها ورفعه كعلم يرفرف فوق رأسه وهو يركض في حديقة المدرسة . لعلها لا تعرف الباقي : ركضت خلفه ودفعته الى الارض بقوة وقلبته وأخذت منديلها من يده عنوة وابتعدت وهي تغني !

حكاية معقولة عن سميرة التي تأخذ حقوقها بيديها القويتين ، وليس مهما أن تتثبت منها. (وكيف ؟). جميل أن تكون لنا أحداث تقبع في الظل تومض بين الحين والحين . إن الكثير من ماضينا هو تلفيق يساعدنا على تحمل الحياة حتى لو لم نكذب حقا .

في مدرستنا بالاعظمية كان درس الرسم يحظى بأهمية خاصة ، فهناك صالة كبيرة يشرف عليها اساتذة للتدريب والعرض ، كان آخرهم النحات العراقي المعروف ميران السعدي . من هذه المدرسة تخرجت رسامات موهوبات نجحن في تخطي القيود الاجتماعية بمساعدة زمن الخمسينيات القوي والسعيد والمنفتح من مثل سعاد العطار واختها ليلى . (الأولى تعيش في لندن والثانية قضت بصاروخ امريكي). ما زلت أتذكر رسومات الاخيرة الطفولية ، فقد كانت ترسم راقصات رشيقات على الطريقة الغربية . كان ذلك جرأة منها . أما سميرة فلست متأكدا من ذاكرتي عنها في هذا الشأن الذي لم اكن موهوبا فيه ، بيد انني اشتركت معها في مشروع تجسيدي لمحلة عراقية استخدمنا في اظهار بيوتها الطابوق التقليدي الذي اعدنا نحته وقصه ، وقد اخترت في هذه المهمة العمل العضلي الذي كنت استحقه وهي اختارت وضع التفاصيل من ابواب ونوافذ وشوارع ، وربما نهر .

كانت سميرة طفلة سعيدة جدا ، تحب الالوان الحارة والزخرفة والتكوينات شبه التجريدية . هذا ما اذكره عن رسومها . بيد ان ما كانت مميزة فيه حقا هو شطارتها وارادتها القوية في النجاح ، ولست اذكر انها وقفت موقفا محرجا في الصف . كانت لديها ارادة شبه عنيفة في النجاح . تدق نظرها في الفضاء العلوي للصف وتستنزل المعلومات منه فيما كانت تقف وقفة ملؤها الثقة والعزم والالهام . كان هذا يثيرني : من اين لها كل هذا التركيز ؟ هل تخاطب في الاعلى جنا مدجنا يساعدها في استرجاع المعلومات التي كانت تثير جنوني؟ من اين لها كل هذا الاحترام للمعلمين ولمعلوماتهم ولكتبنا المدرسية التي اعتدت تمزيقها بسبب حرجي الدائم منها؟

بيد انها سريعا ما كانت تبدد استغرابي من انضباطها هذا بجرأتها الطفولية التي أحببتها ، فقد كانت في عز الدرس تمرر لي بيديها الصغيرتين التفاح والمشمش والكوجة ، وأمرر لها بدوري ، لأني أجلس خلفها ، مسحوق الليمون الحامض المخلوط بالسكر وبعض السكاكر الرخيصة .

في عام ١٩٥٨ قبل قيام الثورة بشهر او اكثر ، كنت اقف على السلم المؤدي الى الانواء الجوية في مطار بغداد وفي عيني النوم ، فقد قضيت الليل بطوله ارقب منفعلا طيران الطائرات وهبوطها على المدارج ، منتظرا على السلم قريبي الذي كان خفيرا في تلك الليلة وقد رافقته لاني لم اكن امتلك مكانا واحدا لقضاء ليلي . تحت السلم على مبعدة ، رأيت سميرة مع زوجها وعدد من اقربائها . كانت بطنها منتفخة ، وتتحرك باحتراس ، ومن مكانها تستطيع ان تراني الا انها استغرقت تتحدث مبتسمة : انها نفسها ، نفس الغمازتين ، والاشعاع الابيض الذي يبرق بين الحين والحين على جبينها وعلى خديها ، بيد انها قصت ضفيرتها الطويلة التي كانت تصل الى خصرها . فكرت بأي سرعة دخلت فيها الى عالم المرأة بينما ما زلت انا ولدا . واصلت الوقوف هناك على امل ان تراني وتتعرف عليّ ، الا انها لم ترفع عينيها ولا لحظة . كانت سعيدة تستجيب برخاء الى محدثيها الذين جعلوا منها مركزا مشعا . شعرت بالحزن والاهمال فنزلت السلم على عجل . في الساحة الخارجية للمطار شاهدت سيارة شركة الانكرلي لنقل المسافرين ما بين العراق وسوريا متوقفة في مكان قريب ينزل منها المسافرون . فكرت بأبي الذي كان معلما في مدينة السلمية قرب حما . في الحقيقة رأيت شبحه متوقفا متعبا على طريق صاعد يسحب أنفاسا متلاحقة . كان مصابا بالربو ، وكنت سأغادر الى دمشق بعد اسبوعين . وشعرت بالقلق .

في بداية السبعينيات قدمت نفسي الى سميرة في الصالة العلوية من (كولبنكيان) قائلا انه تعارفنا الثاني . وسألتها ، بين دهشتها وتعابير محاولتها اليائسة في التذكر ، عن سنها المكسور الذي كان صديقي في الصف توقف عنده في محاولة شعرية لكي يصفه في تشبيه مناسب فظل على حرف التشبيه واقفا لا يريم . كانت تحب الحلوى . هل ما زلت ؟ وتكركر سميرة بتلقائية الطفلة اياها ، وادرك انها احتفظت طيلة هذا الزمن بالقدرة على السعادة وتحويل المآسي الى احاديث عادية . وبالفعل حتى في الكوارث العائلية غير المتوقعة ، وقد فقدت اثنين من ابنائها في حوادث قاسية ، كما فقدت زوجها مؤخرا ، كان حزنها من هذا النوع الذي لا يمنع الضحكات الصريحة من الانطلاق ، ولا الحياة من ان تمضي كما هي تمضي مسرعة او مبطئة ، ثم العمل ومسراته ، الطموح ، التجديد ، الرفقة ، واستئناف العمل والأمل ، والرسم-هل نسيت الرسم ؟ الرسم الذي تعتقد انه ساعدها في تفريغ شحنات الغضب والحزن والتعبير عنهما .

والحقيقة انني منذ تلك الايام انتبهت الى رسومها ، بيد انني ما ان اقف ازاءها حتى اراني ابحث في رأسي عن ذكرى تلك الايام الطفولية ، فأكون أقرب الى سميرة البنت الصغيرة من سميرة الرسامة . كانت رسومها تضج بعاطفة حارة متمثلة باللون والاشكال غير المستقرة والعلاقات الخيالية والتكوينات المنفلتة. حتى الاشكال الواضحة بعض الشيء بدت ملحقة بعاطفتها وليس لحساسيتها الشكلية . على نحو ما كنت أتصرف ازاء رسومها بعقلانية باحثا في عملها عن صيغ معنية بالأشكال والانشاء وليس بالعاطفة ، وكان هذا يسلمني الى همهمة لم تفهم هي منها غير انني حاولت التهرب من اعطاء رأي . لا أحب هذه الكلمة : رأي ! ما معنى رأي عن رسوم ؟ انني ما ان أعرف شيئا حتى اراني اطرق يائسا ممكنات غامضة . فضلا عن ذلك أصارع ما أحبه ولا أحبه في لحظة التلقي. هذا لم اوضحه لسميرة ابدا . ولقد اعتقدت هي ، ما دامت كانت تقرأ كتاباتي عن الفن والفنانين ، انني لا أحب عملها ، أو إنني معني بنوع من الفن ، ونوع من الفنانين . على الرغم من ذلك كانت حريصة على ان لا تجعل من صمتي قضية نزاع . " أنت حر " تقول فأحدق في عينيها ، وأرى انها صادقة ومحقة ، وينتهي كل شيء. لقد كانت غالبية الرسامات العراقيات مولعات برسم الأشجار والجذور والاوراق . كان هذا مثيرا وذا دلالة من وجهة نظري . فسواء تعلق الأمر برسم غابة أو شجرة مفردة أو حتى جذر ملتف متيبس ، يكاد المرء يشعر بوجود اشكال طبيعية جميلة تمارس دورا رمزيا . تخفي الطبيعة باباً الى النفس والخيال والتأويل . في مجتمع ذكوري قوي يحيل الطبيعة والمجتمع الى الرجل ويضعها تحت تصرفه ، قدم العالم النباتي للفنانات غطاءً رمزياً متعدد الدلالات : كل ما يظهر جميلا في الفضاء وأصله يختفي تحت الارض ، ما لا نستطيع القبض عليه لأنه شائك وغير ظاهر ، الطبيعة الام ، الانساغ الصاعدة والنازلة ، الملاذ ، الستر . الفنانة سميرة عبد الوهاب لم تشذ عن هذا التقليد في بداية عملها ، لكنها اختارت مسرحا آخر ، غير نباتي ، فضائي ، وخيالي . وكما أذكر كانت سميرة معنية في البداية نسبيا بالثمار ، كالتفاح مثلا ، والقصة اياها عن الطرد من الجنة . بيد انها بقدر ما كانت لا تستسلم للعلاقات الروائية تميل الى التجريد والخيال ، وأكثر من هذا كانت تحاول تصوير عواطفها ، من هنا كانت تثير صعوبات في فهم رسومها . رسمت سميرة الكثير من المضطجعات ، عاريات او نصف عاريات ، معلقات في سماوات او كهوف غريبة . تتوزع الاضواء في هذه البيئات الغريبة كما تتوزع في المقاصف والحانات ، لكأن المضطجعات في حانة من حانات جنان الخلد ، حيث اللذة الدافئة ذات اللون الأحمر متعادلة بنور روحاني أبيض قد يصبح احيانا بؤرة العمل . لعلنا سنتوقع وجود كؤوس ، بيد انها لن تكون كؤوس شرب ، بل ورود لحمية هائلة حمراء تتشبه مرة بكؤوس ذات تخصرات رشيقة متعددة وبأرحام كبيرة تسقى من اشكال ظلية .

سيظل هذا المسرح الفضائي الغريب يهيمن على انشاء اعمالها لفترة طويلة ، بيد انه سيتحول ، يتجرد ، ولا يتبقى فيه من الاشكال الظاهرة غير آثار الضياء على قماشة اللوحة . ثقوب هائلة يترشح منها الضوء الذي يتلاشى في الفضاء . الضوء نفسه يتخصر او ينتشر على شكل مخروط أو يتوزع متلاشيا على ستارة غير مرئية .

ما زلت اتذكر الفترة التي راح اللون الابيض البارد والمطفأ يتخذ شكلين ذاويين لشمعتين مستنفدتين . كانت فترة وسعت سميرة فيها أفق نشاط صالتها ، بيد انها باتت اقل مرحا واكثر تفكرا . ابتداء من هذا اللون ، وهذا الايحاء ، راحت سميرة تشغل سطوح لوحاتها في ضرب من الدراما العاطفية الخفية . لقد تعلمت القليل من القمع لمصلحة ذكرى حزينة تتلألأ بضعف. كان الماضي يكبر ، واللوحة لم تعد مسرحا بل طريقة لاظهار المزاج ، طريقة في التعامل مع الاخفاق والخوف واخفاء اللذة .

ثمة سلم ضيق كان يفضي الى الصالة العليا حيث كانت سميرة تجلس خلف مكتبها الانيق . في واحدة من الصور المعروضة في موقعها الالكتروني يظهر هذا السلم في لقطة من الاسفل كأن أحد يهم بالصعود . لكن لا احد . لم يعد هناك أحد . لقد غادر الفنانون كاليري بغداد : نزلوا السلم وغادروا بغداد ، خلفهم هبطت سميرة ، ألقت نظرة اخيرة وأغلقت الباب الى الابد . لا أحد هناك غير الصور . أغلق الموقع أنا بدوري وأشعر بالخوف.

الرواية والحقيقة

أحمد سعداوي

١.

يصف الكاتب البرتغالي خوسيه ساراماغو في روايته الشهيرة " ليلة حصار لشبونة " وبشكل مضمن، الوضع المؤسس لعلاقة الكاتب الروائي مع التاريخ، حيث يسعى الكاتب الى فحص الحقيقة في التاريخ المدون أمامه، ويجد من مسؤوليته الاخلاقية تجاه (الحقيقة) ان يعيد تأويل وحذف وتوسيع مفاصل عديدة منه، في عملية أعادة انتاج كاملة لتدارك ما يعتقد الكاتب أن المؤرخ قد أخطأ فيه، او سها عنه. فنقرأ الرواية على أنها النسخة الشخصية (غير الخاضعة للمعايير القياسية في البحث التاريخي) التي خرج بها الروائي عن التاريخ المروي. وهذا المعنى نجد صداه يتكرر كثيراً في اشتغالات الرواية الحديثة، حيث يسعى الروائي، من خلال العبور الى ما وراء الرواية (الميتافكشن) الى إبراز حقيقة اساسية: الموقع الذي يتخذه القارئ من رواية مؤسسة على الخيالات، هو الموقع ذاته الذي يتخذه الانسان بصورة عامة، إزاء تاريخه العام المؤسس على السرد أصلاً. الروائي يخلط مجموعة من الحقائق والوقائع مع الخيالات، وهذا ما يحصل دائماً في التاريخ نفسه، والفرق أن الرواية تعترف بهذه الحقيقة الجوهرية، وتقيم علاقتها مع القارئ على هذا الاساس، والتاريخ لا يفعل ذلك. وهنا يتجسد الدور (الاخلاقي) للرواية في إعطاء امثولة على حتمية اختلاط الوهم مع الحقيقة ما ان يباشر الانسان تنظيم الحوادث الواقعية في خطاب ذي نصية مقفلة، وحتمية النسبية في أي حقيقة يتم حصرها بين قوسين، وعدم واقعية أكتمال التصورات والافكار، إزاء واقع متحرك سيال، وبيان ان الدوغمائية هي لحظة متأخرة دائماً عن حقيقة الواقع، مهما بلغت شعرية هذه الدوغما من الابهار ونقاء الصورة.

٢.

يمكن أن نوجز واحداً من اشد مواقف الرواية المعاصرة راديكالية بالقول، ان الرواية تريد ان تخبر القارئ، بأن الواقع يشبه الرواية، وليس العكس. الواقع (الممنتج داخل الذهن والمعاد تشكيله على شكل ذاكرة محملة بخلاصات أنفعالية) يقلد الرواية. الرواية لا تقلد او تعكس الواقع، لأنه لا يوجد واقع، خارج هذه الخلاصات. الواقع الطازج والحي، يبقى محجوزاً لا جوهر له، ولا حقيقة. الواقع هو ما يتفق اثنان على انه كذلك، كحد أدنى. وهو اتفاق غير ملزم للآخرين.

الرواية تصنع واقعاً، كما تصنع نشرة الاخبار، وكما يصنع المؤرخ، والرجل العائد الى بيته يروي للعائلة ما جرى معه خلال النهار، وكما يصنع عالم الدين ورجل السياسة، والفرق الاساسي هو ان الروائي من بينهم جميعاً، من يصر على أنه يروي. مجرد. وجه او صيغة لهذا الواقع، كما انه يصر على تحريض الاخرين لأدراك نسبية ما يعتقدون انه كلي ومكتمل بما لا يحتاج الى اضافة وتعديل.

٣.

(الواقعة الحياتية) مهما كانت، تبدو كثيفة بطبيعتها، أكثر كثافة من أي قدرة على الحصر، وهذا التكاثر في العناصر المكونة لفسيفساء الواقعة يمكن ان يدخل الى مستوى التناسل الاميبي، وبالتالي فأن ما نراه مجرد مسطح من بعدين، هو كرة ثلاثية الابعاد لكل مليمتر فيها درجة محددة من الانعكاس الضوئي.

كان كولن ويلسن يشير في كتابه (فن الرواية) الى ان الذهن البشري يميل الى تسطيح الاشياء، وذلك من اجل استعمالها، فلو اننا حاولنا أستعادة كامل الحقيقة لشجرة نمر بها يومياً في الطريق، لما ذهبنا الى العمل ذلك اليوم.

إن استعادة كامل الحقيقة لهذه الشجرة يشبه قيامنا بجمع الانعكاس الضوئي لكل مليمتر من الكرة الثلاثية الابعاد، ورصفها على مسطح من بعدين. أي القيام بخرق على صورة الواقع من اجل ادراك حقيقة الواقع نفسها، وهذه مهمة "خيالية" بامتياز.

الادب بصورة عامة، شعراً وسرداً، قد لا يفعل شيئاً غير القيام بهذه المهمة "الخيالية"، التي تستهدف الحقيقة وتسعى إليها. إنه يقوم بأستعادة كامل حقيقة الشجرة من دون ان يوقفنا في الطريق ويحرمنا من الذهاب الى العمل.

٤.

العالم الذي نعيشه في الغالب هو عالم مثقل بالحقائق، ليست تلك الحقائق (بذاتها) فهذه أشياء غير موجودة، وانما الحقائق التي تطرح من خلال (النصيات السردية) المتعددة. هذه الحقائق التي تطرح نفسها دائماً على انها أعلى وأسمى من النص الذي يحتويها، متفوقة وسابقة عليه. والأدب لا يحارب شيئاً تجريدياً، لا يحارب أوهاماً او حقائق تجريدية، إنه يحاول، لا اكثر، أعادة هذه (النصيات السردية) المغلقة للأفكار والمعتقدات والرؤى والتصورات الايديولوجية الى حقيقتها النصية الاساسية. وهنا تساعدنا جملة نيشته المكثفة "الحقائق خيالات متكلسة"، حيث يغدو الادب معها، نوعاً من اعادة الحقائق الى طبيعتها المرنة، الى اصلها الخيالي، مادام الخيال هو المنطقة التي تصل/تفصل بين وعي الانسان والعالم.

في العالم الذي تصطرع فيه الايديولوجيات وخطابات تبرير المصالح والنوازع، ومدونات التفسير والتأويل للتناقض المعرفي، ينشيء العالم نفسه على انه مجموعة حقائق متراصة ومتراكبة ومكتملة. في الادب تجري عملية فك التزييف، وأن العالم في حقيقته أوسع من المعرفة المعطاة عنه، وانه غير قابل للتنميط في قوالب ثابتة ونهائية. في الادب تجري عملية الكشف عن الجسد وكيف ساهم (بكل طاقاته المدمرة أو الحيوية) في انشاء عالمنا، وتجري أيضاً عملية الكشف عن (المرح) بأعتباره الوجه الذي اختاره الإله لنفسه لحظة خلقه للعالم.

نهار الوزيرية وليل الكرادة

عبد الخالق كيطان
شاعر عراقي مقيم في استراليا

كنت أتشوق للذهاب إلى الوزيرية حيث تشكلت بدايات شخصيتي طالباً في أكاديمية الفنون الجميلة ، وما حول الأكاديمية من أمكنة مختلفة... ذهبت إلى الوزيرية بفرح وقلب تتسارع نبضاته كلما اقتربنا من بناية الأكاديمة ، نزل علي حسين من سيارة التاكسي وهو يحث خطاه كما كان يفعل قبل أكثر من عشرة أعوام.. تخيلت أنني سأصادف من تعودت على مصادفتهم هنا ، ولكن الكثير ممن سألت عنهم كانوا قد غابوا خارج العراق أو اختاروا أمكنة أخرى بسبب العمل وما شابه..

فقررت زيارة أساتذتي فقيل لي أن قسم الفنون المسرحية قد انتقل بالكامل الى بناية معهد الفنون الجميلة القديم في الكسرة وكان عليّ أن أزور عميد الكلية الدكتور عقيل مهدي يوسف ولكني لم أجده في مكتبه.. صادفت في باحات الأكاديمية بعض الوجوه القديمة الحبيبة واقترح أحمد هاتف أن ننتقل إلى قاعة حوار.. وأن تكون في قاعة حوار معناه أن تجد فاضل محسن بانتظارك، وهو ما حصل فعلاً.. أخذني فاضل من بين الجميع مصراً على جولة في الوزيرية.. لم يعد من أثر لمقهى الجالية السودانية، ولا المركز الثقافي البريطاني ولم يعد أحد من معارفي يرتاد ما كنت أسميه مقهى حكمت الحاج.. لا قاسم محمد عباس ولا ضياء أحمد عبد الرزاق.. مسرح الطليعة بقي مجرد هيكل غابت عنه صور ناجي كاشي وفيصل جابر عوض وحيدر منعثر.. جدران اسمنتية هنا وهناك لزوم حماية الناس من المفخخات السافلة.. في يوم آخر اصطحبني فاضل محسن إلى بناية قسم الفنون المسرحية.. سعدت كثيراً وأنا أرتمي بين أحضان معلمي صلاح القصب بعد هذه السنوات، قال كثيرون أنه كان يصر على المشي يومياً من شقته في شارع حيفا إلى القسم من أجل إعطاء محاضرة بالرغم من ظروف شارع حيفا الأمنية في العام ٢٠٠٦.. زرت أستاذ الأجيال سامي عبد الحميد ووجدت عنده مجموعة من الأصدقاء: رياض شهيد وجبار خماط ورياض موسى سكران.. ولكني للأسف الشديد افتقدت الدكتور عبد المرسل الزيدي والدكتور فاضل خليل والدكتور مالك المطلبي فلقد كانت جداول محاضراتهم مختلفة عن موعدي..

وبعد الظهر كنا نسارع الخطى للوصول إلى الكرادة.. فهذا وقتها بعد الفراغ من الوزيرية.. في رخيته قرر الأصدقاء أن يتخذوا مقهى صغيرة مكاناً للتجمع: كان ثمة كاظم النصار وفلاح ابراهيم وابراهيم حنون ومحمد هاشم وأحمد حسن موسى ومهند مختار ونصير غدير ومنتظر الساري وبالطبع فاضل وعلي حسين ومنعثر.. التحق بنا فيما بعد قاسم محمد عباس وعرفت من الجميع أن الكرادة شأنها شأن الوزيرية راسخة في تقاليدها اليومية.. جولتي المسائية في الكرادة أثبتت لي ذلك.. حدث أثناء هذه الساعات تفجير سيارة مفخخة، لم يعر الجميع له أهتماماً.. هرعت سيارات الأسعاف وكانت سيارات الشرطة تمر بالقرب منا .. أغلقوا المنطقة لبرهة ثم عاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي..

سنوات طويلة كانت الأيام فيها مقسومة بعدل، نصفها النهاري للوزيرية ونصفها الليلي للكرادة.. لم يتغير شيء.. الأصدقاء كما هم في حميمية نادرة.. المسرح الوطني الذي يعشقه المسرحيون العراقيون بوجد لا نظير له يقف في مكانه مرحباً بأصدقاءه الكثر، وجدت عماد صفوك بانتظاري، لم يكن صفوك مجرد حارس أو بواب لهذا الصرح الوطني، بل كان يحفظ وجوه وأسماء زواره وفي رأسه الكثير الكثير من الذكريات الحميمة، حكى لي عن بعضها ساعة سقوط الصنم وهجمة الفرهود.. تجولت في باحات المسرح الذي أصبح اليوم مقر المؤسسة العامة للسينما والمسرح بعد أن ترك المبنى القديم في الصالحية بلا عناية أو إعمار..

البناية المجاورة للمسرح، وكانت مقراً لقيادة القوة الجوية، صارت مقراً للعشرات من العوائل التي احتلت المكان بعد التاسع من نيسان، فيما ظلت شهرازاد محمد غني حكمت تملأ جرارها بالماء..

وطيلة فترة بقائي في بغداد كنت حريصاً على أن أكون في الوزيرية حيناً وفي الكرادة حيناً آخر.. وما بينهما ثمة شارع السعدون حيث مقر جريدة المدى...

أول وصولي إلى بغداد هاتفت علي حسين ووصف لي مكان وجوده ومجموعة من الأصدقاء.. لم يكن صعباً عليّ الوصول إلى هذا المكان بالرغم من بعض التغيرات التي طرأت على المكان.. لقد كانت بناية قريبة من بناية جريدة المدى عرفت من علي أنهم بصدد اجراء تمرينات مسرحية ضمن فرقة تابعة للمدى.. وبعد انتهاء اللقاء الذي جمع مجموعة من الفنانين العراقيين ذهبنا إلى المدى الجريدة.. أول ما لفت انتباهي تصميم المبنى من الداخل، فهو تصميم عصري مفتوح ذكرني بالصحف الأردنية.. ووجدت علاء المفرجي منهمكاً بين أوراقه فلم يصدق عندما رآني.. المدى لمت عندها الكثير من الأصدقاء، وهو شيء مفرح سأجد مثله في جريدة الصباح.. من شعراء وقصاصين وصحفيين وكتاب أعمدة.. كانت فرصة كررتها مراراً طيلة وجودي في بغداد، ولم أفوت الفرصة في تناول بعض المشويات من بائع اتخذ لنفسه زاوية على مقربة من الجريدة حيث وضع منقلة الفحم وعلق فخذاً من لحم الخروف وصندوقاً صغيراً فيه الكثير من الصمون العراقي.. همس خليل الأسدي يذكرني عن أيام عملنا في جريدة القادسية في التسعينيات، عندما كنا ننزل من السيارة في الباب الشرقي فنتشمم روائح شواء اللحم ونتحسر فلم نكن نملك حينها غير ثمن الدخان!!! فضحكنا بسخرية..

لا أدري بالتحديد كيف وصلت إلى قناعة بنهارية الوزيرية وليال الكرادة، ولكن هذا ما كان يحدث معي على الدوم.. افتقدت حكيم جاسم وعبد الخالق المختار، كنا نشكل رفقة حميمة عندما ننطلق من الوزيرية بسيارة المختار، فنعبر إلى السينما والمسرح في الصالحية وعصراً ننتقل إلى الكرادة حيث المسرح الوطني ومكتب المنتج الفني سيد مهدي محمد رضا..

في الوزيرية مرت أجيال وأجيال من المبدعين العراقيين والعرب، وكذا الدارسين في اختصاصات مختلفة حيث توجد الكثير من الكليات بالإضافة طبعاً إلى جامعة بغداد العريقة.. وفي الوزيرية أيضاً ثمة مقار لعدد كبير من النقابات والروابط الثقافية العراقية المهمة وليس ببعيد مقر جريدة الجمهورية، وجريدة صوت الطلبة ومجلة المرأة، قبل سقوط الصنم، ولهذا فالوزيرية تزدحم بالرواد النهاريين على الدوام الذين سرعان ما تخفت حركتهم مع تقادم ساعات النهار إلا من بعض طلبة المحافظات الذين يسكنون في مواقع مختلفة في الوزيرية والكرنتينة والباب المعظم والكسرة وشارع المغرب..

الكرادة لا دخل لها بالنهار، فهي مدينة الليل العراقي الآسر.. لا يبعد دجلة كثيراً عن الكرادة، ومع ساعات العصر الأولى تبدأ حركة الناس في الكرادة داخل وخارج بالتزايد.. المحال التجارية المختلفة تتجاور بمنظر بهي، جوامع وكنائس وحسينيات.. مسارح ومقاهي ومطاعم مختلفة.. والناس في كرنفال ليلي..لا غنى عن ليال الكرادة البغدادي أو القادم من محافظات العراق أو من دول أخرى..